وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الجزائر2-أبو القاسم سعد الله-

كلية العلوم الاجتماعية

المرجع/المراسلات الوزارية:

01- رقم:/أ.خ.و/2020 بتاريخ 29 فيفري 2020

02- رقم: 416/أ.خ.و/2020 بتاريخ 17 مارس 2020

03- رقم 440/أ.خ.و /2020 بتاريخ 2020/03/23

نموذج الوثيقة البيداغوجية لتدعيم منصة التعليم عن بعد

fss@univ-alger2.dz

اسم ولقب الأستاذ: **رشيد ميموني**
المقياس: تطبيق ☐ محاضرة ☐+ الجندر و قضايا المرأة

نوع الوثيقة: نص المحاضرة
الدرس:
الفئة المستهدفة من الطلبة: ماستر مهني في علم الاجتماع العائلي
المستوى : **ماستر1 مهني** علم الاجتماع العائلي

المجموعة : 1 +2.... الأفواج:.1+2..
التخصص: **علم الاجتماع العائلي، الطفولة و الرعاية الاجتماعية** تاريخ تسليم الوثيقة: ...ماي... 2020....

مدخل تحليلي لطرح عناصر إشكالية « الجندر وقضايا المرأة في الجزائر »

أ.د رشيد ميموني

تهدف وحدة " الجندر وقضايا المرأة " وفق مخطط البرنامج التوجيهي لماستر 1 في تخصص "علم الاجتماع العائلي، الطفولة والرعاية الاجتماعية" إلى توضيح مفهوم ونظرية الجندر وشرح ظروف إدراجها في حقل علم الاجتماع العائلي وتبنّيه من طرف المنظمات الدولية ثم إدخالها في السياسات التنموية الوطنية على شكل مشاريع لترقية وضعية المرأة. و يهدف البرنامج أخيرا إلى تقييم تطور وضعية و مكانة المرأة في كل المجالات: الاجتماعية، الاقتصادية (العمل)، التربوية، الصحية، السياسية، القانونية، الثقافية، الإعلامية...

أدركتُ عندما تمّ تكليفي بتدريسي هذه الوحدة أن الأمر لا يقتصر على مجرد جمع المراجع في الموضوع وتلخيصها ثم تقديمها للطلبة لأن المسألة معقدة، إذ تتداخل فيها عناصر عديدة ومتشابكة تضم حقائق موضوعية قابلة للقياس والتقييم وأخرى مبنية على تصورات وتخضع لقراءات مختلفة حسب مواقع وتوجّهات ومصالح وطروحات أصحابها، (أفراد ومؤسسات)، لأن الموضوع يمسّ ما اصْطُلِح على تسميته ب" مشروع المجتمع" أي هو مرتبط برهانات المجتمع المأمول و السياسات العمومية من طرف الدولة و مرجعياتها و مكانة المرأة فيها. ويتطلب الأمر وضع إشكالية، خاصة في تناول مسائل السداسي الثاني، سأتعرض له بعد تقديم موجز للدروس السابقة قصد الترابط بين محاور البرنامج.

لم تكن المحاضرات العشر التي قدمتها منذ 9 أكتوبر 2019 تطرح إشكالا منهجيا عويصا سوى ما تعلق بجمع المعلومات وتوثيقها و التأكد من صحتها و تلخيصها و تحضيرها، علما أنّني أدرّس هذه الوحدة لأول مرة (كما كُلِّفتُ بتدريس أربع وحدات أخرى) ، لأن البرنامج كان يتناول دراسة الجندر كمفهوم و دلالاته و ظروف ترسيخه أكاديميا ثم

تبنيه من طرف المنظمات الدولية إثر انعقاد المؤتمرات الدولية، فالسَعْي الحثيث (بل ضغط) الجمعيات النسوية والمنظمات الدولية لإدراج توجّهاتها في التشريعات الوطنية لكل دولة، كما أني تعرضت باختصار لوضعية المرأة الاجتماعية و الاقتصادية و السياسة في أوروبا ومدى تدنّي مكانتها و تعرضها للاستغلال توضيحا لظروف بروز الحركة النسوية في مرحلتها التمهيدية التي اقتصرت على مطالب محدودة (منح الاعتبار المعنوي و حق التعليم للمرأة...) ثم عرضت " الموجات الثلاث" للحركة النسوية في أوروبا و أمريكا في القرن 19 و 20 مرفقة بمطالب اقتصادية تتمثّل في وضع حد لاستغلال المرأة في المصانع و رفع الأجور و حق التصرف في مالها... وسياسية من حقوق مدنية و سياسية كحق الانتخاب ثم الدعوة في الموجة الثانية إلى تغيير، بل تقويض أسس نظام الأسرة التقليدي الأبوي ("البطريكي") تزامنا مع بروز مفهوم "الجندر" (في السبعينيات من القرن الماضي) الذي يقرّ بأن تقسيم الأدوار غير عادل بين الرجل و المرأة و هو ليس امتدادا لاختلاف الطبيعة البيولوجية بينهما في الأساس بقدر ما هو بناء ثقافيا و دينيا واجتماعيا و سياسيا لتكريس هيمنة مصالح الرجال وتبرير تكليف المرأة بالواجبات المنزلية وتربية الأبناء دون مساعدة الرجال؛ فطالبت رائدات الحركة النسوية بتقويض النظام الأسري الأبوي رافعين كذلك مطلب الحرية الجنسية تحت شعار "حق المرأة لامتلاك جسدها"، كما تعرضتُ في المحاضرة لأهم التيارات و لم أتعرض للاختلافات في برامج تلك الحركات لطول البرنامج.

والآن أنوي تناول محورين أساسيان:

1- ظروف بروز الحركة النسوية في العالم العربي في سياق حركة النهضة الفكرية والدينية والاجتماعية (منذ بداية القرن 20) و في الجزائر بعد الاستقلال: خصائصها ومطالبها.

2- دراسة مكانة المرأة في الجزائر وما مدى تطور وضعيتها وتحقيق مطالبها في المجال التربوي، الاجتماعي، الاقتصادي، السياسي والتشريعي...

وتتطلب معالجة المحورين وضع **معالم إشكالية** تتمثل مبرراتها فيما يلي، **وأدعوكم للتمعن في الأدلة المقدمة ومحاولة إسقاط الطريقة على موضوع مذكّرتكم السنة المقبلة إن شاء الله :**

- لا شك أن وضع وتقييم وإسقاط مفهوم الجندر في الجزائر يتواجد في قلب الرهانات المتعلقة بالأسرة والتغيرات التي أثرت عليها وعلى أدوارها ومكانة ونفوذ (سلطة القرار) أعضائها فيها اجتماعيا واقتصاديا وقانونيا وثقافيا (رمزيا).

- عكف الباحثون على دراسة شكل الأسرة الجزائرية وتحول نمطها في العقود الأخيرة، فتوصلوا إلى إثبات تعرضها، تحت تأثير التغيرات السريعة إلى تحولات كبيرة ولكن لم يتفقوا على(أو صَعُب عليهم) ضبط الأنماط الجديدة (المتعددة والمتناقضة داخليا أحيانا) للأسرة و لا مدى عمق و ديمومة وتداخل التأثيرات عليها لها وحدة الأزمات داخلها و طبيعة

أدوار أفرادها و بروز طموحات جديدة و سلوكيات قد تطبعها الازدواجية وحدود تماسكها بنيتها ورصد الاتجاهات المستقبلية ، علما أن السيرورة التاريخية و نمط اندماج الأسرة الجزائرية في الحداثة وتأثير العوامل الثقافية و الدينية تختلف (قليلا أو كثيرا) عن التحولات في البلدان الأخرى و طبيعة و موقع الأسرة فيها و الرهانات و التحديات الجديدة...

إذن تتجلّى معالم إشكالية دراسة ظروف بروز الحركة النسوية في الجزائر (المتعددة التوجّهات) ومكانة المرأة ووضعيتها اليوم من خلال " **الإقرار بتقاطع في سياق سيرورة تاريخية ذات تميّز لديناميكيات اجتماعية، سياسية، اقتصادية، تربوية، ثقافية، فكرية، دينية، قانونية... ليست ذات اتجاه خطّي (تصاعدي) في ضوء تأثيرات خارجية غير متجانسة أثرت على ظروف تشكّل الحركة النسوية، ملامحها و توجهاتها من جهة، إذ نشأت في ظروف خاصة في فضاء سياسي، اجتماعي، فكري خاص تتصارع فيها قوى سياسية وتنظيمات و هيئات و نخب ثقافية وتيارات إيديولوجية و إعلام، حول رهانات تخص مشروع المجتمع كان على رأسها مطلب إلغاء قانون الأسرة، كما أنها تؤثر من جهة أخرى على تصورات أعضاء الأسرة وقيمهم وطموحاتهم ومواقفهم والمعاملات فيما بينهم في كل مرحلة تاريخية كالإعلام المتعدد التوجّهات فضلا عن المنظمات الدولية التي تضغط لفرض مقاربة الجندر و تكريسها في التشريعات الوطنية.**

وفي سياق ذلك ومن زاوية أخرى مكمّلة لما سبق، تجدر الإشارة إلى ضرورة **تقييم ما مدى تحقيق المرأة من مكاسب في عدة مجالات تربويا، اقتصاديا، اجتماعيا، قانونيا، سياسيا، ثقافيا ... لقياس ما مدى اقتراب الجزائر من إنجاز بعض الأهداف الإيجابية في سياسات مقاربة الجندر مثل: التربية، الحقوق المدنية والسياسية، الحقوق الاجتماعية والاقتصادية، تمكين المرأة اقتصاديا، محاربة العنف ضد المرأة...**

كما تلاحظ أيها الطالب، أيتها الطالبة، فإنني أحاول خلال سعيي لمعالجة القضايا المطروحة في برنامج الوحدة الدراسية أن أبلور إشكالية تمهيدية معتمدا على السيرورة التاريخية مع الحرص على فهم في كل مرحلة العوامل المؤثرة في الوضعية والرهانات ودور المؤسسات والتغيرات ومواقف كل فئة كما ذكرت سابقا بخصوص ظروف و سياق بروز و نشاط الحركة النسوية... **قياسا على ذلك، فإن موضوع بحثك المستقبلي، و إن كان جديدا، فإنه لا يطرأ كطفرة منعزلة ولكن له أسباب قد تكون عديدة ومتداخلة و يندرج في سياق و فضاء خاص تتفاعل حول رهاناتها فئات و هذا ما ينبغي الانتباه إليه عند تحضير الموضوع وصياغة الإشكالية.**

أُنظر إلى المنهج الذي اعتمدته في السداسي الأول معكم في مادة "المنهجية المتخصصة" إذ عرضت عليكم **كإشكالية: كيف تطورت ظاهرة الطلاق و أسبابها في الجزائر** من خلال عرض 3 نماذج لدراسات في مراحل مختلفة: 1983(قبل صدور قانون الأسرة و تأثير نمط الأسرة التقليدية) ، 2005 (قبل تعديل القانون و بروز عوامل ترقية المرأة و البحث عن استقلالية) و 201 (ورفض المرأة المتزوجة لنموذج السلطة الأبوية) .

إذن بصفة منطقية أفضّل أن أتعرض لتحليل "النظام الأبوي" الاجتماعي و الأسري لأنه يمثل مصدر استغلال المرأة مع محاولة تبيان نقاط التقابل و نقاط الاختلاف لهذا النظام في المجتمعات الغربية و العربية

النظام الأبوي (أوالنظام البطريكي) le système patriarcal

1 / الحركة النسوية والنظام البطريكي

عندما تعرضت في الدرس الأخير للموجة الثالثة للحركة النسوية في أمريكا و أوروبا، أشرتُ أنها كانت ذات توجّهات مختلفة وفق خطوط إيديولوجية وعرقية وحتى ميول جنسية و كانت أهم نقاط الاختلاف فيما بينها تدور حول :

- ما درجة استقلالية الحركة النسوية عن الإيديولوجية (والتنظيم) الماركسية التي تُعنى بالاستغلال الاقتصادي ؟

- ما درجة استقلالية الحركة النسوية ذات الانتماء العرقي مثل الحركة النسوية الزنجية و الآسيوية في أمريكا عن التنظيم أو الحركة السياسية الأم ؟ ذلك كون النساء يتعرضن لاستغلال مزدوج بسبب عرقهن وجنسهن. تجدر الإشارة إلى أن أشهر مناضلة نسوية أمريكية سوداء Angela Davis أستاذة الفلسفة بالجامعة وعضوة في منظمة Black Panther والتي دخلت السجن سنة 1971بسبب نضالها في الستينيات من القرن الماضي.

وكخلاصة، ومن بين التوجهات العديدة، يتصدّر النشاط النسوي في الغرب اتجاهين كلاهما يسعيان للتخلص من استغلال المرأة ولكن يختلفان في الرؤية والمنهج:

- أحدهما **التيار " الليبرالي"** (غير الماركسي) يناضل من أجل وضع حد للتمييز والتفاوت بين الجنسين والتحيّز ضد النساء في أماكن العمل و في المؤسسات التعليمية السياسية و الإعلامية و يضغط على السياسيين من أجل إصلاح وضعية المرأة و توفير فرص متكافئة من خلال التشريعات و القوانين الاجتماعية والسياسية (كحق الانتخاب و الحقو ق المدنية) و الاقتصادية والاجتماعية كالتساوي في الأجور تحسين ظروف العمل و حرية تصرف المرأة في مالها ومناهضة العنف ضد المرأة في كل المجالات... و قد تحقق بفضل النضال و الضغوطات مكاسب معتبرة.

- أما مناضلات **التيار الثاني الملقب ب " النسوي الراديكالي (المتطرف) "**، يَرَيْنَ أن تلك المكاسب محدودة ويتعيّن القضاء على النظام الاجتماعي المتسبب في إخضاع المرأة في كل المجالات وهو "النظام البطريكي أو الأبوي " وأن الذكور هم المسؤولون عن استغلال النساء ... ولا يومنّ أن المرأة ستتحرر من القمع عن طريق الإصلاح أو التغير التدريجي، إذ لا بد من الإطاحة بالنسق البطريكي لتحقيق المساوات بين الجنسين.

تقييم :

بعد رصد التطورات والاتجاهات الجديدة للأسرة في الغرب، ترتب عن تلك المساعي انعكاسات عديدة، منها ما يلي:

1- إذكاء الصراع بين الجنسين وتشنيع صورة الرجل واختزال أدواره في استغلال المرأة (دون الإشارة إلى أدواره النفسية (عاطفة وحماية...)، التربوية، الاقتصادية داخل الأسرة... على اعتبار أن الرجل عدوّ لدود للمرأة إلى درجة أن الباحثين، علماء اجتماع وعلماء نفس غربيين يتحدثون اليوم بسبب الاختلال الذي حصل و التهجم على الرجل ، عن زعزعة هوية ووظائف الرجل من خلال تقنين مصطلح "أزمة الرجولة " (la crise de la masculinité) .

2- إن السعي لتقويض أسس الأسرة وأهدافها و تغيير العلاقات بين الجنسين (إلى حد التنافر بينهما) أدّى إلى تغيير جذري في نمط تكوين الأسرة وتركيبتها وأشكالها ووضعيتها القانونية والعلاقات بين أعضائها في الغرب...بسبب الدعوات إلى رفض الزواج و تكريس الحرية الجنسية المطلقة (خاصة منذ الستينيات من القرن الماضي) والممارسات بكل أشكالها (الازدواجية الجنسية، الشذوذ الجنسي، التخنث...) وحق المرأة في امتلاك جسدها حصريا والممارسة الجنسية والإجهاض دون مشاورة الشريك (الأب)، والدعوة إلى تأخير الإنجاب للتمتع بالحياة. ضِفْ إلى ذلك عوامل اقتصادية واجتماعية وسياسية ساعدت على استقلالية المرأة وتغيير صورتها النمطية وأدوارها.

ترتب عن ذلك توسيع أنماط الأسرة المعتمدة بها قانونا، أو في طور الاعتماد أو الموجودة في الواقع الاجتماعي، إذ توجد إلى جانب الأسرة النواتية المعروفة (التي كانت النموذج المرجعي منذ الثورة الصناعية)، عدة نماذج أخرى، على سبيل المثال: الأسرة المركّبة (recomposée)، والأسرة وحيدة الوالد(monoparentale)، والأزواج الذّيْن تجمعهما وثيقة P.A.C.S (أي الارتباط الإداري دون الالتزامات القانونية للزواج) أو التعايش الجنسي الحرّ (cohabitation, concubinage) ، تعدد الزوجات ، الأسرة المِثلِية الجنسية ، عائلة التبني ، الأسرة الحاضنة ... تظهر الأسماء مع ظهور هياكل عائلية جديدة. وهذا النموذج يتعارض مع قيم وسيرورة تطور الأسرة في الجزائر ومحاولة فهم وضبط و توجيه مسارها المستقبلي في ضوء قدراتها الذاتية ومرونتها والرهانات والتحديات التي تواجهها.

3- تقلص نسبة الإنجاب إلى حدّ التراجع الرهيب للنمو الديموغرافي (بل أحيانا انقطاع النسل) واتساع فئة المسنّين.

2/ خصائص النظام البطريقي

لم توظف الحركة النسوية في مرحلتها الأولى (القرن 19 بداية القرن 20) المليء بالاحتجاجات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية (وتحقيق بعض المكاسب) مفهوم "البطريكية" ولم يتم المساس بنظام الأسرة. ولكن ابتداء من السبعينيات من القرن الماضي وتزامنا مع انبعاث الموجة الثانية من الحركة النسوية في أوروبا وأمريكا التي اتسمت بتوظيف في نظريتها مفهومين متكاملين "النظام البطريكي" كأداة تحليلية تم "رَسْكلته" لوصف نظاما اجتماعيا قمعيا ضد النساء، واستحداث لفظ "الجندر" وتحويله إلى نظرية ثم منهج لتعويض النظام البطريكي.

أصل وتعريف المصطلح:

يشتق مصطلح "البطريكية" patriarches بالفرنسية و patriarchy بالانجليزية نابعة من كلمة يونانية « Patriakhês » التي تعني كبار السن من الذكور، و يُقصد بها الآباء، رب العائلة، زعماء العائلات والقبائل و كذا باللّاتينية« Pater Patriarcha » التي تضيف إلى هؤلاء زعماء الكنائس. أما لفظ « Grecarkhê » باليونانية أي السلطة، وهو بمثابة نظام اجتماعي يحتل فيه الرجل بمكانته كأب ويمسك بمقاليد السلطة داخل الأسرة وعلى مستوى العشيرة.

في الأنثروبولوجيا ، يشير مصطلح " النظام البطريكي " إلى العائلات والفئات الاجتماعية والتنظيمات المهنية والسياسية التي يتولّى فيها الرجال في مواقع السلطة.

تاريخيا، تجسّد النظام الأبوي كنظام اجتماعي يمتلك فيه الرجال السلطات الأساسية في المجتمع في العديد من المؤسسات الاجتماعية والأخلاقية و القانونية والسياسية والاقتصادية و الدينية، مما ينتج عنه امتيازات عديدة للرجال .

و تميّز عالمة الاجتماع "وولبي" (1990 Sylvia Walby) بين شكلين من البطريكية :

- **البطريكية الخاصة :** إن السلطة الأبوية في الحقل الأسري يتمثّل في تحكّم الآباء في النساء والأطفال، وهو نظام اجتماعي يرتكز على العادات والتقاليد حيث يمارس أكبر الذكور أو الأب سلطة (مطلقة أو جزئية) على الزوجة و الأولاد و بالأخص الفتيات، و يشكل الأخ كذلك سلطة على أخته أو والدته أحيانا. وإن النظام الأبوي يحول بين مشاركة

المرأة في الحياة العامة. ترى أن " البطريكية هي نسق من البنى والممارسات الاجتماعية يقوم فيه الرجال بإخضاع النساء وقمعهن واستغلالاهن وإن الزوج هوا لذي يصادر عمل المرأة البيتي غير المأجور: الأشغال المنزلية ورعاية الأطفال.

- أما **البطريكية العامة**: فهي جماعية و يشير هذا المصطلح سياسيا إلى حكومة مشكلة بأكملها من قبل الذكور، كذلك يشير إلى هيمنة الرجال على الأنظمة الثقافية والاجتماعية، إذ تتولّى مجموعة من المؤسسات بما فيها التربوية و الدينية ووسائل الإعلام ... إنتاج نماذج أو أدوار للمرأة بشكل التي ترغبه النزعة البطريكية وتؤثر هذه الأدوار النموذجية على هوية المرأة و المقاييس المقبولة لسلوكها ؛ يتم تلقين أدوار الجنسية و تثبيتها منذ الطفولة من خلال مؤسسات التنشئة الاجتماعية: أسرة، مدرسة أو من خلال تقمص الأدوار و تقليد الكبار في جماعات اللعب و تُعيدها المرأة مثلا عندما تتزوج لتصبح زوجة ثم أم. وتكمن المفارقة في انخراط المرأة في مكان العمل والمجال العام وحتى النشاط السياسي ولكنها لا تصل إلى الثروة ومركز القرار ولا ترتقي مكانتها الاجتماعية. ففي مجال العمل، يتم إقصاء المرأة من بعض الأعمال وتُوَجَّه لبعض الأعمال المتدنية المهارات أو المنحطة ويتقاضَيْن أجورا أدنى.

ومن بين نتائج النظم الأبوي، العنف الذّكوري : يتكوّن من مجموعة من الأفعال الفردية تلقاها الإنسان من "أنماط سلوكية منسقة" . تتعرض المرأة للأذى بصور مختلفة ولكنها نمطية، وتبدي الدولة قدرا كبيرا من التساهل تجاه العنف ولا تدخل إلا في الحالات الاستثنائية

تتجسد أيضا العلاقات البطريكية في النشاط الجنسي: هناك ازدواجية المعايير بخصوص قواعد السلوك الجنسي بين الرجال والنساء.

حسب المؤرّخين والأنثروبولوجيين كما أوجزه الباحث السوسيولوجي الجزائري "لعياشي عنصر": " ظهر نمط تقسيم العمل بين الجنسين منذ عصر ما قبل التاريخ حيث كانت المرأة تقوم بمهمة قطف الثمار ورعاية شؤون البيت ورعاية الأطفال، بينما كان الرجال يغادرون في رحلات صيد طويلة الأمد، ومع ظهور المجتمعات الزراعية المستقرة (أي غير الرحالة) ترسخ أسلوب تقسيم العمل الجنسي، وأصبح نمطا اجتماعيا يعاد إنتاجه من خلال منظومة القيم والمعايير. وإن معظم المجتمعات تحدد، من خلال عمليات اجتماعية معقدة، أدوار معينة لكلا الجنسين ، يحمل الرجال دور الإعالة و يواجهون المخاطر و يحتكرون الحظ الأوفر من سلطة إدارة القرا ر و تسيير شؤون العائلة " .

إن الزواج هو الطريق المشروع اجتماعيا نحو دور المرأة كأم وربة بيت، الأمر الذي يساعدها على تخفيف وطأة السلطة الأبوية و يحسن موقعها التفاوضي.

تقييم أولي

حسب "وولبي"، فأن نقطة ضعف في النظرية النسوية تتمثل في التركيز على سبب "جوهري واحد" لقمع المرأة مثل العنف الذّكوري أو دور المرأة في الإنجاب، فهذه رؤية

اختزالية. كما أن مفهوم البطريكية لا يصلح وحده لتقديم تفسير عن قمع المرأة عبر كل المراحل التاريخية وفي مختلف المجتمعات والثقافات دون تحليل لمختلف العوامل و و خصوصية العلاقات و التبادلات الاجتماعية، فضلا عن إغفال عناصر أخرى مثل العِرق والطبقة الاجتماعية ... و حسب "وولبي" فإن البطريكية أخذت بالخفوت في بعض المجتمعات الغربية بفضل عوامل منها تضاؤل الفجوة في الأجور والتقدم في مجال التعليم غير أن هذه العوامل لا تغير إلا نسبيا من الهيمنة البطريكية.

3/ النظريات المفسرة لبروز النظام البطريكي في التاريخ

ظهر النظام البطريكي كمرحلة تاريخية في سياق النظرية التطورية التي كانت تسعى في القرن 19 فهم مراحل تطور التنظيمات الاجتماعية (والمجتمعات). يعتبر الانثروبولوجي الأمريكي "لَويس مورغن" (Lewis MORGAN) 1818-1881 أول من تعرض له في كتابه "المجتمع العريق" (Ancient Society 1877) : مرت الأسرة كنواة لتنظيم اجتماعي في مرحلة متقدمة من تاريخ الإنسانية؛ كان أول شكل لها "العائلة القديمة" ثم من بين الأشكال الهامة ظهرت "العائلة البطريكية" ومن خصائصها في بعض المجتمعات، تعدد الزوجات، ثم تحت تأثير التغيرات الاجتماعية منذ عصر النهضة في أوروبا كتوسيع المدن والتصنيع ظهر شكل جديد: "العائلة الأُحادية". وحسب "مورغن" وأنثروبولوجيون آخرون، فإن بروز العائلة البطريكية وثيق الصلة باستقرار الإنسان بفضل تطوير الزراعة والتحكم في بعض التقنيات وظهور الملكية، تلك عوامل فرضت تثبيت تقسيم العمل بين الجنسين وهيمنة الرجال على سلطة القرار.

أظهر وطوّر نظرية مورغان المنظّر الثاني للماركسية الألماني "فريديخ أنغلز" (Friedrich ENGELS 1822-1895) في كتابه "أصل العائلة، الملكية الخاصة والدولة" 1884، واعتبر أن تاريخ المجتمعات يتسم بالصراع الطبقي وأن أول استغلال كان استغلال الرجل للعمل المنزلي للمرأة.

بقي النظام البطريكي سائدا أثناء فترة الرأسمالية لوجود مصالح متبادلة حلّل لاحقا بعض الباحثات العلاقة التفاعلية بين نظامَيْ الرأسمالية و البطريكية وركّزْنَ على كيفية إنتاج و إعادة إنتاج قمع المرأة. ترى الباحثة "وولبي" " بأن البطريكية و الرأسمالية نظامان متميزان يتفاعل أحدهما مع الآخر بأساليب شتّى- بطريقة متناغمة أحيانا، وبصورة متوترة أحيانا أخرى انتفعت الرأسمالية من البطريكية خلال مرحلة تقسيم العمل على أساس الجنس ولكن تضاربت مصالحهما خلال فترة الحرب العالمية الأولى عندما دخلت النساء سوق العمل بأعداد كبيرة (بسبب ذهاب الرجال للحرب)".

تعززت تحليلات ا للنظام البطريكي المرفق بالهيمنة الذكورية حديثا في سياق انبعاث الموجة الثانية للحركة النسوية، و نشير في هذا السياق للدراسة الرائدة في أمريكا:

1969 Kate Milett « La politique du mâle(vol 1 :politique sexuelle) "السياسة الذكورية : الجزء 1 السياسة الجنسية"

و في فرنسا : Christine Delphy « L'ennemi principal : l'économie du patriarcat 1998 "العدو الرئيسي: الاقتصاد البطريكي"

و 1998 « Pierre Bourdieu « La domination masculine "الهيمنة الذكورية"

4/ النظرية البطريكية الجديدة (أوالأبوية الجديدة) Néo-patriarcat في العالم العربي لهشام شرابي

النظام الأبوي بنية اجتماعية وسيكولوجية متميزة تطبع العائلة والقبيلة. ويشكل في العالم العربي السلطة والمجتمع وتكون علاقة هرمية تراتبية تقوم على التسلط والخضوع اللّاعقلاني الذي يتعارض مع قيم المجتمع المدني واحترام حقوق الإنسان، نتج عن شروط و ظروف تاريخية واجتماعية و ثقافية عبر سلسلة من المراحل التاريخية و تعاقب تشكيلات اجتماعية واقتصادية مترابطة فيما بينها. يحتل الأب الموقع المركزي في بناء العائلة ويحتكر السلطة والنفوذ والتصرف في حياة جميع أفراد الأسرة، لا زال هذا الشكل قائما، وإن كانت اعترته تغييرات بسبب عوامل مثل توسع المدن، التصنيع، انتشار التعليم وتوسيع دائرة حقوق النساء...

ومن الناحية البنيوية ، فالنظام الأبوي يتكون من طرائق للتفكير والعمل و السلوك و يرتبط بنمط معين من التنظيم الاجتماعي و الاقتصادي التقليدي السابق على الرأسمالية. و هو يتخذ في المجتمع العربي شكلا مميزا ويقابل المجتمع الحديث، و من خصائصه قابليته على الاستمرار وعلى مقاومة التغيير والمحافظة على القيم التقليدية القديمة.

بفضل الكتابات في الغرب، انتقل الاهتمام بالنظرية البطريكية إلى بعض المفكرين العرب (فلاسفة وعلماء اجتماع والمتأثرين كذلك بالنظرية الماركسية)؛ وتعتبر في هذا السياق **محاولة المفكر وعالم الاجتماع الفلسطيني هشام شرابي** (1927-2005) الأكثر جدية وتميّز. ولد بمدينة "يافا" الفلسطينية ورحلت عائلته إلى لبنان بعد نكبة فلسطين 1948 و الاحتلال الإسرائيلي. تخرج من الجامعة الأمريكية ببيروت ثم انتقل للدراسة الجامعية في أمريكا ثم أصبح أستاذا بجامعة Georgetown بِواشِنْطُن (وكان من بين تلامذته Bill Clinton الذي أصبح لاحقا رئيس الولايات المتحدة الأمريكية) ، تأثر ثانيا بهزيمة 5 جوان 1967 للبلدان العربية، فضلا عن متابعته للأحداث الدولية كحركة الزنوج المناهضة للتمييز العنصري والاحتجاجات ضد حرب الفيتنام في أمريكا و الحركة الطلابية في ماي 1968 في فرنسا.

تساءل شرابي بمرارة عن سبب الانتكاسة التي أصابت الوطن العربي وعدم قدرته على الخروج من التخلف. فأجرى مراجعة نقدية لفكره حيث تخلّى عن نزعته القومية و تقرّب من الماركسية و طرح تساؤلات جوهرية: " ما هي العوامل التي أدّت إلى كل هذه الهزائم ؟ فهل تكمن الأسباب فقط في غطرسة السياسة الصهيونية العدوانية ؟ أم يجب التوجه إلى **إشكالية أخرى كامنة في الفكر والمجتمع العربي** حالت دون تمكّن المجتمع العربي من المواجهة الفعلية للصهيونية ؟

تُحلِّل "نهى خلف" الإنتاج الفكري لهشام شرابي حيث ألّف سنة 1975 " مقدمات في دراسة المجتمع العربي " موضحا فيه أهم الأحداث وتغير نظرته للواقع كما تطرق بتحليل نقدي إلى السلوك الاجتماعي و بنية العائلة في المجتمع العربي كوحدة تكون في الغالب من "أسر ممتدة" مبنية على أساس علاقة هرمية و سلطوية بين الذكر الأكبر سنّا الذي يتحكم على بقية أفراد الأسرة. إلى جانب ذلك انتقد أُسر الطبقة البرجوازية والإقطاعية في الوطن العربي، على أنها تمارس "الاتكالية، والعجز، والتهرّب" المسيئة إلى المشاركة السياسة الفعلية. لم تسلم مؤسسة التعليم من انتقادات هشام شرابي، إذ لا تتعامل بمنطق الإقناع والمكافأة ولكن بممارسة العقاب الجسدي.

ووصف أيضا بمرارة موقف المثقف العربي الذي يبحث فقط عن مكانة اجتماعية ويتصف بتدني مستوى الانضباط العلمي والمنهجي، الأمر الذي يجعله يتميّز بازدواجية المشاعر تجاه المثقف الغربي، تتراوح "بين إعجاب الحاسد والشعور بالعجز"، ولذا يلجأ إلى " الافتخار بأمجاد المفكرين والعلماء العرب القدماء". ويستنتج أن ما يمنع الشعوب العربية من التغيير والتقدم هو "غياب المعرفة الحقيقية للذات، وغياب نقد الذات، والتبرير والتمويه". لا يكمن الحل في الاتباع الأعمى لقيم الغرب، ولكن من خلال رفض التمويه وممارسة التحليل النقدي، واستعادة الثقة بالنفس وتشكيل المعرفة الذاتية. ويرى أن الدور الأكبر في التغيير يقع على كاهل المثقفين الملتزمين.

وتوصل إلى استنتاج " أن الثقافة المسيطرة تخضع الفرد لقيمها، ولذا يعجز الفرد عن الرؤية، بعيدا عن الإطار الذي حددته له الثقافة المسيطرة" ورأى بالتالي أنه ينبغي وضع مسافة نقدية مع الأحداث واتباع آلية "التحرير الذاتي" لفهم الواقع بعيدا عن الصور الثقافية النمطية المسيطرة.

بعد هذه الجولة من التأمل والمراجعة الفكرية والتأثر بالنظريات الجديدة، ألف شرابي **كتابه المشهور " النظام الأبوي المُستحدث (النيو- باتريكية)" (le Néo-patriarcat) سنة 1988.**

يوضح هشام شرابي أن المصطلحين: النظام الأبوي والنظام البطريكي قريبين في المعنى ولكن الأبوية تاريخا وبنيويا تختلف عن البطريكية بكونها النظام الأولي الذي انبثق منه البطريكي، كما أن مفهوم الأبوية أضيق شمولية إذ ينحصر في بنية العائلة والبنى المتفرعة عنها كالعشيرة والقبيلة، **بينما يضم مفهوم البطريكية البنية الاجتماعية بكاملها بما**

فيها البنية الأبوية وتفريعاتها والهيمنة الذكورية على مستوى العائلة، وكذا الأب في صورته السياسية ممثلا في الحاكم.

يَصفُه بأنه نمطا اجتماعيا وفكريا ويشير إلى البنية الاجتماعية، السياسية، والنفسية التي يتميز بها المجتمع العربي المعاصر، " يعيش الماضي في الحاضر والحاضر في الماضي. إنه مزيج من التراث والمعاصرة، نظام غريب يختلف عن أي نظام".

يرى أن التخلف لا يقتصر على الجانب الاقتصادي والاجتماعي والتربوي، إنما هو أعمق وأشمل " إن التخلف يكمن في أعماق الحضارة الأبوية (المستحدثة)، ويسري في كل أطراف بنية المجتمع والفرد وينتقل من جيل إلى جيل، لا تكشفه الفحوص والإحصاءات. نتقبله ونتعايشه على المستوى الاجتماعي و النفسي و على الصعيد النظرية والممارسة، يتميز بصفتين مترابطتين :

- **اللّاعقلانية** في التدبير والتحليل والتنظير والتنظيم والممارسة

- **العجز** في التوصل إلى الأهداف، عن مواجهة التحديات والتغلب عليها. إنه التخلف المتمثل في شلل المجتمع العربي ككل: تراجعاته، انكساراته، انهياراته."

أما السلطة الأبوية فتتسم ب "ذهنية أبوية" أي النزعة السلطوية الشاملة، التي ترفض النقد والحوار. ومن الطروحات الأساسية لنظرية "النظام الأبوي المستحدث" **أن البنى الأبوية في المجتمع العربي لم تتغير في المائة عام الأخيرة، بل ترسّخت خلف واجهة حداثية.**

فالنهضة العربية (أواخر ق 19 وبداية ق 20) فشلت في القضاء على العلاقات والتشكُّل الداخلي للنظام الأبوي وانفتحت على الحداثة الغربية ولكن عملية التحديث مست فقط الظواهر المادية والسطحية؛ فتمخض عنها ولادة **نظام اجتماعي هجين لقّبه شرابي "بالبطريكية المستحدثة" الذي تتعايش فيها كوحدة متناقضة**. المصطلح مشتق من مفهومين : " الأبوية" كنموذج مجتمعي تقليدي (قد يتخذ أشكالا متنوعة) و "الحداثة" كمرحلة تاريخية تشكلت في أوروبا أحدثت قطيعة مع الفكر والمجتمع التقليديين

وتكمن **المفارقة في أن هذا النظام قد فقد صفته " التقليدي" ولم يرتق إلى "الحداثة "؛** فهو بمثابة **تشكيلة اجتماعية انتقالية مختلطة** تتسم بمعالم التخلف وغياب الحداثة في كل المجالات: الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية، وتعاني بالضعف ومن التمزق بسبب التناقضات والصراعات الداخلية، فتفتقد كبنية إلى مواصفات "المجتمع". فضلا عن ذلك، فهي غير مستقلة وتابعة للنظام الرأسمالي العالمي في غياب طبقة برجوازية من رجال الأعمال (مثلما حدث في أوروبا) وظهرت محلها طبقة مختلطة تحولت إلى طبقة "حاكمة نيوبطريكية مهيمنة على الحكم، ويفقد المواطن العادي حقوقه وحريته.

مستندا على تحليل شرابي، يذكر ألانثروبولجي الجزائري المرحوم "محفوظ بنّون" (الذي درّس في قسم علم الاجتماع بجامعة الجزائر في الثمانينات من القرن الماضي) في كتابه "الجزائريات ضحية النظام البطريكي الجديد " مشيرا إلى أن هذا النظام " لا يتسم بخصائص الجماعة التقليدية Gemenshaft أي la Communauté و طبيعة العلاقات فيها كما حددها عالم الاجتماع الألماني Ferdinand Thonnies و لا بخصائص المجتمع الصناعي الحديث Gesellshaft أي la Société.

يرى أستاذ علم الاجتماع والباحث السوسيولوجي الجزائري "لعياشي العنصر" أن النظام البطريكي في العالم العربي يتسم بثلاث خصائص:

" 1 - يقوم على العصبية بالمعنى الخلدوني ، أي روابط الدم أو لحمة النسب، التي تؤدي وظيفة الحفاظ على الوجود الاجتماعي للعائلة أو القبيلة ،و لبسط السلطة والنفوذ.

2 – تُقاوم البنية العائلية التقليدية سواء في شكل القبيلة، او العشيرة، أو العائلة الممتدة عملية التغير الاجتماعي.

3 – يتسم بنظام عقائدي وقانوني معقد يجمع بين التقاليد، والأعراف القديمة، والمبادئ الدينية، وكان له دور حاسم في ترسيخ أهمية صلة القرابة ودعم العلاقات الأبوية."

ويحلل "لعياشي عنصر" أثر بروز "الأسرة الحديثة " في شكلها النووي ونزعتها "الديموقراطية " وتكافؤ العلاقات بين أعضائها و ما تمثله من خطر على النظام الأبوي:

"1 – تعبر الأسرة الحديثة عن ديناميكية التحول الاقتصادي، ذلك أن حصول الأبناء على قدر من التعليم واكتساب المهارات يسمح لهم بالتوظيف، ومن ثمة تحقيق قدر معتبر من الاستقلالية الاقتصادية مهدت لخروجهم من علاقات التبعية والولاء للأب وسلطانه وتفرض على الأب مراجعة موقفه والدخول في نمط جديد من العلاقات مع أبنائه .

2 – تجسد الأسرة الأولية في الوطن العربي نمطا جديدا من العلاقات، وإن في طور التكوين، هو نمط العلاقات الديموقراطية المفتوحة والمرنة على عكس العائلة الممتدة المعبرة عن علاقات مغلقة تتسم بالسيطرة والخضوع والتبعية. إضافة إلى العامل الاقتصادي، هناك انتشار التعليم الحديث، الذي رغم ارتباطه بإيديولوجية النظام الأبوي، انفتح على أفكار الحداثة التي تسمح ببزوغ فكر نقدي ووعي جديد.

3- تمثل الأسرة الحديثة تهديدا للنظام الأبوي بالنظر إلى التحولات التي تحدثها على مكانة المرأة ووضعها الاجتماعيين، وهذا الأمر يعزز من قدرتها التفاوضية".

يسعى شرابي من خلال نقد وتفكيك السلطة السياسية المبنية على الهيمنة والتسلط والقمع، الانتقال من النظام التقليدي إلى النظام الحداثي الذي تسود فيه حرية الأفراد.

وُجِّهتْ **انتقادات لتحليل شرابي**:

- وقع في فخ الإطلاق في اعتباره أن النظام الأبوي السبب الرئيسي للتخلف في حين هناك أيضا أسباب أخرى عديدة مثل داخلية وخارجية (مثل الانتقاد السابق ذكره الموجه للحركة النسوية لاعتبار النظام البطريكي السبب الأوحد لاستغلال المرأة).

- تناول شرابي المجتمع العربي كأنه "وحدة منسجمة" في هيكلتها وسيرورتها التاريخية، وعدم مراعاة اختلاف بنيات وأنظمة وديناميكيات البلدان العربية، وتجاهل الفروق الموجودة بين مجتمعات المشرق العربي والمغرب.

- يضع الحداثة المبنية على الفكر والعقل كسمة رئيسية للغرب في مقابل النظام البطريكي القائم على الدين والأسطورة في إطار مجتمع متخلف ويدعو إلى التخلي عن اللغة العربية السائدة(في المجالين السياسي والثقافي)، على اعتبارها ركيزة النظام الأبوي وحاملة لنظامها القيمي و إلى تعويضها باللغات الغربية. وهذا مبالغ فيه لأن مسار الحداثة في الغرب أظهر تناقضات: فإلى جانب العلوم و التكنولوجيا و تثبيت المجتمع المدني، تسبب في الحروب والاستعمار والاستغلال والفردانية وأزمات نفسية والتلوث البيئي...

كما أن نموذج الحداثة ليس أحاديّ الاتجاه وحكرا على الغرب، إذ هناك بلدان آسيوية تطورت مع المحافظة على تقاليدها في حين أخرى تبنت اللغة الفرنسية أو الإنجليزية أو الإسبانية ولا زالت متخلفة.

- يعتمد بحكم تبنيه الإطار النظري الماركسي على مفهوم "الوعي الطبقي" في حين أن التركيبة الاجتماعية في أوروبا تختلف عن المجتمعات العربية.

الخلاصة:

بعد ما تعرضتُ في هذه الدروس للعلاقة الموجودة بين نظرية الجندر و مفهوم النظام البطريكي كما صاغتها الحركة النسوية؛ حاولت شرح ظروف بروز هذا النظام وخصائصه في أوروبا حسب منظّريه الأوائل وتحديد علاقته بالرأسمالية. وأخيرا تناولتُ خصوصيته في الوطن العربي حسب هشام شرابي من خلال صياغته لمفهوم " النظام البطيكي المستحدث " مرفقا بتقييم.

سأقف لاحقا عند ذكر بعض مطالب الحركة النسوية الي وُضِعَتْ في قالب نظرية الجندر و قياس ما مدى تحقيق هذه المطالب في العديد من المجالات في ضوء مختلف التغيرات التي مست المجتمع الجزائري و كذا السياسات المنتهجة في مختلف القطاعات من طرف السلطات العمومية محاولة منّي وضع تقييم أوّلي موضوعي كما تقتضيه فلسفة و أهداف تلك الوحدة "الجندر و قضايا المرأة " وفق مكانتها في برنامج السنة الأولى ماستر "علم اجتماع العائلة، الطفولة و الرعاية الاجتماعية" .

المراجع المعتمدة :

الكتاب :

- أنتوني غِدِنز. علم الاجتماع. ترجمة د. فايز الصُيّاغ. ط 4 بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 193-204

المقال :

- العياشي، عنصر. "الأسرة في الوطن العربي: آفاق التحول من الأبوية ...إلى الشراكة " عالم الفكر، عدد 3، مارس 2008 ص ص 281- 325

المقالات الإلكترونية:

- الحيدري، إبراهيم. "النظام الأبوي وتأثيره على العائلة والمجتمع والسلطة"

- الحميري، محمد أحمد. "النظام الأبوي في المجتمع العربي عند هشام شرابي" المركز الديموقراطي العربي 2017

- خلف، نهى. "كيف نستعيد هشام شرابي...التراكم المعرفي ونقد المجتمع" 2015

- « Patriarcat (sociologie) », Wikipédia